

فهل أنتم شاكرون

الحمد لله العزيز الحميد، وعدّ الشاكرين بالمزيد، وتوعّد الكافرين بالعذاب الشديد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغفور الودود، ذو العرش المجيد، فعّالٌ لما يريد، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير العبيد، صاحب القول السديد والعمل الرشيد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه إلى يوم الدين.

ثم أما بعد: [فهل أنتم شاكرون].

واسمعوا معي هذه القصة عن محمد بن الحسين، قال: مر علينا أحد الرهبان النصراني فقلنا: أين تريد؟ قال: «أجول أطلب صلاح قلبي» قلت: فمن أين أقبلت؟ فبكى ثم قال: «أقبلت من عند قوم ملّوا نعم الله عندهم، فخفت أن يسلبهم إياها عندما رأيت من تضييعهم شكرها فهربت عند ذلك».

قال ابن القيم: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعتراف، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة.

عباد الله: قرن الله الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ﴾.

وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

وقسم الله سبحانه وتعالى الناس إلى شكور وكفور، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

وعلق سبحانه المزيد بالشكر، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

وأوقف سبحانه الجزاء على المشيئة كثيرا وأطلق ذلك في الشكر. فقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

بل قد جعل الشكر هو الغاية من خلقه وأمره، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وأخبر سبحانه أنه إنما يعبد من شكره، ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته. فقال: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

وقد أثنى الله سبحانه على أول رسول بعثه إلى أهل الأرض بالشكر. فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

كما أثنى سبحانه على خليته إبراهيم بشكره نعمه. فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وأمر الله عز وجل عبده موسى أن يتلقى ما آتاه من النبوة والرسالة وتكليمه إياه بالشكر. فقال تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَأَمْرِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

كما أخبر سبحانه أن رضاه في شكره، فقال: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

وأمر بها محمدا صلى الله عليه وسلم، ﴿بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

وهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم هم أهل الشكر حقاً، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم أو ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟». رواه البخاري.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم». رواه أحمد.

وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه: «أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها، والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرة بجميع ميسور الأمور كلها لا معسورها يا كريم».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه»

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد»

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما من عبد يشرب الماء القراح فيدخل بغير أذى ويخرج الأذى إلا وجب عليه الشكر».

وقد أثنى الله على هذه الأمة بالشكر، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول: يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله وشكروه، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم. قال: يا رب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم. قال: أعطيتهم من حلمي وعلمي». رواه أحمد.

وقد ربط الله تعالى بين الشكر وبقية الطاعات فعامة الطاعات مبناهما على الشكر: الشكر في الوضوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ
وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾.

والشكر في الصلاة: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِتَقِيْمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١١﴾.

وبعد الصلاة: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أخذ بيده، وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك والله إني لأحبك،
فقال: أوصيك يا معاذ! لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على
ذكرك وشكرك وحسن عبادتك». رواه أبو داود.

الشكر في الصيام: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾.

والشكر في الجهاد: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾.

والشكر في الكفارات: ﴿ذَلِكَ كَفَّرةٌ أَيْمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾.

والشكر في الهدى في الحج: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وفي الدعاء: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

وفي بر الوالدين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾.

وفي التصدق على كل ذي كبد محتاج حتى الحيوانات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بيننا رجل يمشى فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملاً خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له». رواه البخاري.

وإمالة الأذى عن الطريق يشكره الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فغفر له». رواه البخاري.

وفي الأكل والشرب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها». رواه مسلم.

ومن ثمرات الشكر: النعيم المقيم في الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

والأجر غير المحدود: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

ومنها الغبطة والسعادة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أغبط أوليائي عندي رجل مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر، وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك، ثم نفض يده، فقال: عجلت منيته، قلت بواكيه، قل تراثه». رواه الترمذي.

وقال صلى الله عليه وسلم: «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوما، وأجوع يوما» فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك». رواه الترمذي.

ومنها الأجر العظيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للطاعم الشاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر». رواه أحمد.

ومنها استعمالها في الطاعة، قال أبو حازم رحمه الله تعالى لرجل سأله: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: «إن رأيت بهما خيرا أعلنته، وإن رأيت بهما شرا سترته، قال فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرا وعيته وإن سمعت بهما شرا دفعته»، قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقا لله هو فيهما. قال: فما شكر البطن؟ قال: قال الله تعالى: {والذين هم لفروجهم حافظون}.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي لا غاية لما يستحق من الشكر والمحامد على ما لدينا من جزيل المنن وعظيم العوائد، وإياه نسأل التوفيق لأهدى سبل المرشد.

أما بعد:

فقد ظهر كفران النعمة في الناس، والحر لا يكفر النعمة ولا يتسخط المصيبة؛ بل عند النعم يشكر وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف

عنده وَقَعُ أَوْشَكُ أَنْ لَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ مِنْهُ، وَالنَّعْمُ لَا تَسْتَجْلِبُ زِيَادَتَهَا وَلَا تَدْفَعُ الْآفَاتَ عَنْهَا إِلَّا بِالشُّكْرِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلَمَنْ أَسَدَاهَا إِلَيْهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْتَعُ بِالنَّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يَشْكُرْ عَلَيْهَا قَلَبَهَا عَذَابًا». ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة: والجالب، لأنه يجلب النعم المفقودة».

وقال بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى: «قلت لأخ لي أوصني. فقال: ما أدري ما أقول غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر من الحمد والاستغفار، فإن ابن آدم بين نعمة وذنوب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن لم تكن فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه، فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا».

رواه الترمذي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا
أبا هريرة، كن ورعا تكن أعبد الناس. وكن قنعا تكن أشكر الناس. وأحب
للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا. وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما.
وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب». رواه ابن ماجه.

عباد الله: لم يبق على رمضان إلا يومان أو ثلاثة وهذا يوجب علينا شكر
الله أن عشنا حتى هذه اللحظة ونحن في عافية ونشاط وأمن وأمان.
فاللهم لك على الحمد على ما تفضلت به علينا، ثم من أدرك رمضان منا
فليحمد الله وليجتهد في شكره طوال هذا الشكر الكريم.